النزاع بين كاليجولا ويهود فلسطين [1]

بقلم

الدكتور عبد اللطيف أحمد على

لم يكد يمضى على موت المسيح بضع سنوات ، حتى غدا الشرق الأدنى مرة أخرى مسرحا للشغب والاضطرابات : اما لتعصب اليهود الدينى كما حدث فى فلسطين أو لالحاحهم فى مطالبة الحكومة الرومانية بالمساواة مع الاغريق فى حقوق المواطنة كما حدث فى الاسكندرية حيث كان الاغريق ينكرون عليهم هذا الحق ، ويضمرون لهم العداء ، ويتحينون الفرص للكيد لهم والتنكيل بهم . وقد سنحت الفرصة فى عهد الامبراطور الشاب كاليجولا — حين مر الملك اليهودى أجريبا بالاسكندرية فى أوائل أغسطس ٣٨ م فى طريقه الى مقر ولايته الجديدة بفلسطين — فدبر الاغريق المظاهرات للسخرية منه ، والزراية به ، والتحرش بالجالية اليهودية هناك . وسرعان ما تطورت المظاهرات الى معارك دامية ، لجأ الاغريق أثناءها الى حيلة بارعة للايقاع بين اليهود وكاليجولا اذ اقتحموا المعابد اليهودية ونصبوا فيها تماثيل للامبراطور حتى يضطر اليهود — الذين كان من المستحيل عليهم عبادة غير الاله الأوحد وينفرون أشد النفور من تأليه البشر وتقديم القرابين لأى تماثيل حتى ولو كانت للأباطرة — يضطروا الى مقاومة العدوان وتحطيم الأوثان لئلا تدنس قدسية هياكلهم الدينية ويتعذر عليهم التعبد فيها . وقد أفلحت حيلة

---

(١) ملخص المقالة المنشورة بالإنجليزية فى هذا العدد .

اغريق الاسكندية فى استفزاز اليهود فساء ظن كاليجولا بهم حتى أنه عنّف الوفد الذى أرسلوه اليه بعدحوادث أغسطس ٣٨ م . — بشأن حرية العبادة وحقوق المواطنة — على مسلك اليهود ، واتهمهم بعدم الولاء له لأنهم وان كانوا قد قدموا القرابين من أجله ، فانهم لم يقدموها له !

لكن اذا جاز لنا اتهام اغريق الاسكندرية بتدبير حوادث أغسطس عام ٣٨ م . ، واعتبارهم مسئولين عن الاضطرابات التى هلك فيها كثير من اليهود ، فمن الصعب توجيه اللوم الى اغريق يامنيا ، تلك البلدة الواقعة على ساحل فلسطين ، حيث تراءى للاغريق وغيرهم من الجاليات أن يقيموا هيكلا دينيا للامبراطور ، فتصدى لهم اليهود وحطموا الهيكل ، معتدين بذلك على حرية جيرانهم فى العبادة ، وممتهنين فى نفس الوقت هيبة الامبراطور ورمز عبادته ، مما أثار حفيظة كاليجولا عليهم فكتب الى بترونيوس ، حاكم ولاية سوريا ، يأمره بعمل تمثال له والسير بجيشه الى أورشليم ووضع التمثال فى معبد اليهود المقدس ! وقد فزع اليهود أشد الفزع واستبد بهم اليأس فتصدوا لجيش بترونيوس بجموعهم غير مسلحين وانطرحوا على الأرض متوسلين اليه ألا يدنس معبدهم وأن يعاود الاتصال بسيده فى روما لعله يرجع عن عزمه .

وقد تعرضت فى مقالى لأطوار هذا النزاع والظروف التى أدت اليه مستعرضا بايجاز موضوع تأليه الحكام وموضحا أنه لم يكن أمرا جديدا على الرومان وأن كاليجولا لم يكن أول من اتخذ من تأليه نفسه وسيلة لنشر هيبته وفرض سلطانه على روما والولايات ، وأنه على الرغم مما عرف عن هوسه واضطراب عقله ، لم يكن فى حادثه يامنيا بالذات متجنيا على اليهود ، وانما شاء سوء حظه أن تكون مصادرنا عن وقائع النزاع كلها أو جلها يهوديه ، فلم تبرأ من التحيز حتى أنها استغلت موت كاليجولا غيلة لتشفى غليلها وتؤكد بأن العدالة الالهية تقتص دائما ممن يتعرض بسوء « لشعب الله المختار » .

وازاء ما ورد فى هذه المصادر من تناقض — وخاصة فى تواريخ أدوار النزاع — أدى الى اختلاف الباحثين بشأنها فقد ذيلت المقال بجدول لخصت فيه نتائج دراستى لهذه المصادر التى ضاهيت بعضها بالبعض الآخر محاولا التوفيق بينها لاستخلص منها الترتيب الزمنى المنطقى للحوادث .